أحاديث المجـــــــالس

بين الثقافة والشعبية

الرجل المثقف إذا جالس زميله المثقف تدور بينهما أحاديث متباينة ، بدونها يركد هواء المجلس وتضيق أنفاس الجالسين ، وبدونها لامعنى للصداقة ولا جدوى من الزمالة . وهذه الأحاديث فى جو المثقفين ليست من نوع واحد ولا حول موضوع مفرد . وإنما تدور على أمور شتى وحول أشياء مختلفة ، فالجالسان قد يكونان من محبى الأدب ، وقد يكونان من المغرمين بالفنون الجميلة ، وقد يكونان من ذوى الميول السياسية أو من باحثى المشروعات الاقتصادية ، إلى آخر هذه الميول وتلك الاتجاهات ، وعلى هذا يدور الحديث حول الشعر والأدب مع البعض ، وحول الفن مع آخرين ، وحول السياسة فى مجلس ، وحول الاقتصاد فى مجلس آخر ،

وقد يدور حول كل هذه الأمور أو أبعاض منها فى مجلس واحد ، والاسترسال والترابط والتداعى كل أولئك مما يساعد على الانتقال من هذا الموضوع إلى ذاك ، والمجلس المثالى هو ما تدور فيه الأحاديث من كل غرض ومن كل لون وفى كل اتجاه ، لأن ذلك يدل على ثقافة المتحدثين والمام المتناقشين وذلاقة المجتمعين ، بيد أن مجالس المثقفين قد لا تدور أحاديثها حول هذا ولا حول ذاك إلا بعد أن تدور حول الأمور الشخصية التى لا تكون مجرد سرد عادى بل يدخل فيها عنصر التحليل والثقافة والتطبيق والملائمة وعرضها على مبادىء العقل وموازين الفكر ، ثم تكون اللباقة رويدا رويدا تنتقل من هذه الأمور الشخصية إلى مثيل لها منذ زمن ثم إلى اقتران ذلك الحدث بموضوع من الموضوعات ، ومنه إلى شتى المواضيع والاتجاهات ، فإذا انتقلنا من جو هذه المجالس وذهبنا إلى مجالس أبناء الشعب وعامة الناس ، ألفينا الأمر يختلف اختلافا ويتباين تباينا ، فأدب الشعبى وفنونه الجميلة غير أدب المثقف وفنونه ، وسياسة هذا غير سياسة ذاك ، واقتصاد الأول يتباين عن اقتصاد الثانى . فالشعبى له اقتصاد وفن من نوع خاص ، وله أدب وسياسة من قالب مخصوص

والمثقف يعتمد فى أحاديثه ، ومناقشاته على أمور لا بد له من مراعاتها لأن فى التطويح بها تطويحاً بمركزه وضياعا لهيبة ثقافته وداعياً إلى السخرية به والتغلب فى النقاش عليه ، من هذه الأمور أنه يعتمد أن يراعى الصحة التامة فيما يورد فلا يخلط فى حديث الاقتصاد بين ما يزرع وما يستخرج وبين ما يصنع به وما يصنع منه ، ولا يخلط فى حديث السياسة بين روسيا السوفيتية وبين أمريكا الديمقراطية ، ولا يقول فى حديث الشعر إن المتنبى قد أخذ من حافظ ، أو سار على نهج البارودى ، ولا يخلط فى حديث الفن بين ميزات الموسيقى العاطفية وبين أنغام الأرغون ، أو بين رسوم الخيال ورسوم الطبيعة البادية .

كذلك يضمن به أن يتحرى الدقة فيما يقول فلا يجعل تعبيره يتجه اتجاهين إلا لغرض ، أو يحتمل احتمالين إلا لحكمة ولا يسفسط فى حديث جدى فإن ذلك إن استرعى من حوله الاهتمام والانتباه ، وإن جعله يُسرُّ من تغلبه على المناقشين لعجزهم عن رد سفسطته ، فإن ذلك اعتراف واضح منه بعجزه عن مواصلة البحث ومجاراة العرض ودليل على قلة ثقافته وضآلة أفكاره واطلاعه فى هذه الناحية ، كما أن ذلك يدعو لسخرية الحاضرين منه وخفضه إلى هوة سحيقة فى عيونهم ، وإن لم يبد ذلك تصريحاً فهم يبدونه تلميحاً بهز رؤوسهم أو رفع أكتافهم ، أو بإبداء صوت من أفواههم ، أو لفتة من وجوههم أو بتجاهلهم وعدم اكتراثهم ، وفى ذلك كل المغزى وكل المعنى وكل الخجل للسفسطائى وذوبان لماء وجهه .

على أن السفسطة تحلو فى بعض المواقف كلما حمى وطيس المناقشة ويحتد أوارها فيحتاج المجلس لبعض الانتعاش ويحتاج الوطيس لإيقاف عند حد معقول ، فتأتى السفسطة انتعاشاً وإيقافا وحداً معقولا ، ولكن اللباقة تكون فى البراعة فى

(البقية على صفحة ١٠)